مسيرة جهاد

الشهيد العلامة الدكتور/

المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

(رضوان اللّه عليه)

بقلم/ أ. محمد عيسى

المجلس الإسلامي

صنعاء | ١٤٣٩هـ

مسيرة جهاد

الشهيد العلامة الدكتور/

المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

(رضوان الله عليه)

بقلم /محمد عيسى

الطبعة الثانية

المجلس الإسلامي

صنعاء - ١٤٣٩هـ

فهرس

شكر وعرفان ٥

إهداء ٦

المقدمة..... ٧

النشأة والهجرة ٩

عِـلمٌ وجهاد ٢٠

تأسيس وبناء مركز بدر العلمي ٢٥

نشاطاته العلمية ٣٠

أسلوبه في التدريس ٣٣

برنامجه اليومي..... ٣٥

الصبر وحجم المعاناة..... ٤١

مسك الختام ٤٧

مما قيل في رثائه ٥٥

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذه الصفحات المشرقة.. فلولا تعاونهم معي لَمَا كان لهذا العمل أن يرى النور، وأسأل الله الكريم أن يكتب أجورهم ويجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

إهـداء

- إلى الأجيال القادمة.
- إلى كل القلوب العاشقة للعلم والفضيلة.
- إلى المجاهدين في سبيل الله تعالى .
- إلى روح أستاذي وشيخي العلامة الشهيد الدكتور/ المرتضى بن زيد المحطوري الحسني رحمه الله.
- إلى العلماء وطلاب العلم ومحبي هذا الشهيد الثائر.

أهدي هذا العمل المتواضع

راجيا من الله العظيم القبول والتوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله القائل: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ...) (الأحزاب:٣٩). وصلىَّ الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وبعد:

إنَّ تذكر العظماء والاستفادة من تجاربهم، والتزود من هِمَمِهم، لِمَّا يُلهم أمتنا الصمود والعطاء، ويبني واقعنا، ويؤسس لمستقبلنا، فالقمر النوار يستمد ضوءه من الشمس، وكذلك سائر الكواكب.

وهذه السطور القليلة تحكي جزءاً بسيطًا من حياة العالم المجاهد، والمجدد الثائر السيد الشهيد العلَّامة لدكتور/ المرتضى بن زيد المحطوري الحسني قدّس الله روحه في الجنة.

هذه الشخصية المجدِّدة كانت فذة، متميزة، عَمَليَّة، مؤثِّرة في واقع الحياة، تجد فيها العصامية والهمة العالية، تجد فيها البساطة والبشاشة، تجدها تمثل الإسلام في كل معانيه في نظافته وأناقته ورقيه وتجدده، تجد فيها القوة والعزيمة في مواقف الحق ومواجهة الباطل، إنها حقا مدرسة للأجيال.

لقد أدى الشهيد المرتضى دوره معلما مربيا مجاهدا منافحا لا يخاف في الله لومة لائم؛ ولذلك استهدف، ففقدت الأمة نبراسا وعَلَماً..

وبما أني أحدُ تلاميذ هذا العلامة الشهيد، وجدتُ لزاما ووفاء أن أسرد لمحبيه وللتاريخ صفحات من حياته، وكانت الفكرة كتابة سيناريو لفلم عن حياته فرأيت إخراجها بهذا الشكل لتسهل وتعم الفائدة، ولم أستطع الإيفاء بحقه والإحاطة بتفاصيل كثيرة وجوانب مهمة من حياته وشخصيته؛ لذلك أدعو الكتاب والمؤرخين أن يسهموا في تبيين هذه الشخصية تخليدا لدورها العظيم؛ ولتستفيد منها الأجيال..

أسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل خالصا له، وأن ينفع به المؤمنين والمؤمنات..

محمد عيسى

النشأة والهجرة

في قرية بني أسد – التابعة لمديرية المحابشة في محافظة حجة كان يعيش السيد العلامة زيد بن زيد بن علي المحطوري، والذي ينتهي نسبه إلى نجم آل الرسول الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي أحد أحفاد سبط النبي سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

قرية بني أسد-المحابشة

– كان السيد العلامة زيد بن زيد المحطوري (رحمه الله) شديد الذكاء، قوي الإرادة، ذا وقارٍ وهيبة كبيرة في نفوس الناس، وذلك لنزاهته، ومواقفه النبيلة، وكان العالم والمرجع في قريته حيث درس العلم في مدينة المحابشة القريبة من قريته التي يسكن فيها مع أسرته، ثم عاد إلى القرية، وتولى فيها الأوقاف والوصايا، وانتهت إليه القسامة والمساحة وحل مشاكل الناس والإصلاح بينهم.

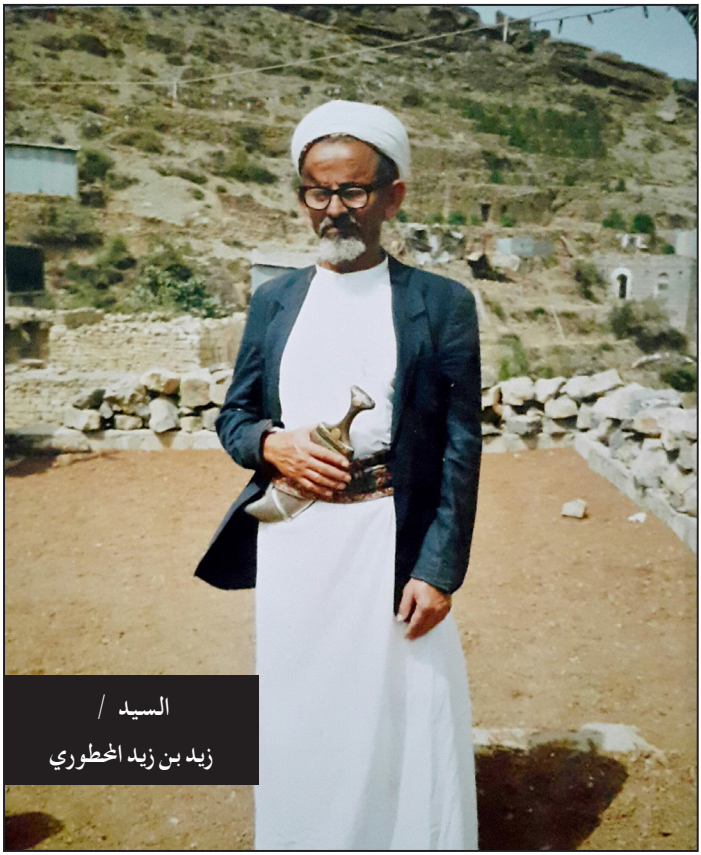

السيد / زيد بن زيد المحطوري

كانت الحياة في تلك الحقبة الزمنية صعبة معتمدة على الزراعة؛ فكان يمارس الزراعة إلى جانب اهتماماته العلمية وإقامته للأمور الدينية في قريته؛ حيث كان إمام المسجد لأهل قريته، المصلح المهتم بشؤونهم، المشارك لأفراحهم وأتراحهم، وكان كثيرا ما يحدِّث أهالي القرية عن سيرة الإمام علي (عليه السلام)، وبذلك حافظ على ولاء أهل قريته وارتباطهم بآل البيت عليهم السلام.

والده ووالدته

وكانت زوجته الشريفة الفاضلة / فاطمة بنت علي بن أحمد المحطوري سنداً له في أعماله كلها ؛ حيث كان منزله قِبْلَةً للوافدين؛ فقد كانت امرأة مؤمنة محسنة اشتهرت بفعلها للخير، وإعانتها للغرباء والمسافرين.

وفي ليلة ١٢ من شهر رمضان سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٦ / مايو ١٩٥٤م أكرم الله هذه السيدة الخيِّرَةَ الفاضلة بمولود هو الثالث من أولادها سُمِّيَ «المرتضى»، ولم يدر بخلدها أنه سيكون له شأنٌ عظيم.

نشأ المرتضى في ظل أسرته الكريمة، وكان أبوه يدرك ملامح النبوغ والذكاء فيه إلا أنه كان منشغلا بأعماله، وحل قضايا الناس؛ فما إن أتم تعلم القرآن، والخط، والحساب في مِعْلَامَة القرية على يد السيد/هاشم بن مُحمد المحطوري حتى أرسله والده إلى مدينة المحابشة حيث المدرسة العلمية في مسجد القُرَانَة؛ لِيَدْرُسَ على يد مَنْ تبقَّى من مشائخه وزملائه العلماء؛ فدرس على يد العلامة أحمد يايه وأخيه عبدالله يايه، والسيد علي أبو هادي، واستمر بها ما يقارب سنة كاملة.

لم يلبث المرتضى طويلا في هجرته الأولى لطلب العلم في مدينة المحابشة؛ حيث كانت اليمن تمر بما سُمِّيَ ثورة الـ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٢م، واستمرت الحرب ٧ سنوات بين الملكية والجمهورية، وساند الثوار في ذلك الوقت الزعيم المصري جمال عبدالناصر؛ حيث قامت الطائرات المصرية بقصف مدينة المحابشة، وبعدها بأيام استهدفت الجامع المقدَّس فيها وهو مكتظ بالمصلين وقت صلاة الظهر، ولم ينج منهم إلا شخص واحد، وكان المرتضى يشاهد ذلك بأم عينيه.

الشهيد عندما كان صغيراً

فرجع المرتضى إلى قريته يساعد أسرته في أعمال الزراعة، ومع ذلك يدرِّس أبناء القرية ممن هم أصغر منه سِنًّا القرآن الكريم وغيره.

وفي عام ١٩٧٢م الموافق ١٣٩٢هـ بعد تحسن الأوضاع السياسية هاجر السيد المرتضى إلى العاصمة صنعاء؛ بحثا عن العلم والعلماء، وكان الجامع الكبير فيها لا يزال ينبض بالحياة؛ إذ يتواجد فيه بقية العلماء، وكانت توجد بجواره وحوله غُرَفٌ تُسَمَّى «المنازل» مخصصة للمهاجرين من طلاب العلم والفقراء.

كان هناك عزوف عن العلم والعلماء خلال تلك الفترة؛ حيث اتجه الناس للمدارس الحكومية الرسمية والوظائف، وأهملت الحلقات العلمية بل كادت تفنى، إلا أن السيد المرتضى استطاع اللحاق بما تبقى منها، وبما تبقى من العلماء الكبار، وكان يتابع العلماء إلى عدة مساجد في صنعاء: مثل مسجد الفليحي، ومسجد خضير، وأحيانا يذهب إلى بيوتهم لطلب العلم و الهدى والمعرفة.

الجامع الكبير

وأقبل السيد المرتضى على طلب العلم بهمة عالية، رغم الظروف الصعبة التي كان يعانيها في تلك الفترة حين كان طالباً للعلم مهاجرا في سبيل الله، وذلك: من عدم توفر المسكن اللائق، والمأكل، والمشرب لمن هو مهاجر لطلب العلم.

عانى العلامة المرتضى أثناء طلبه للعلم ظروفا صعبة قاسية: من ضيق المكان؛ حيث سكن في منزلة صغيرة ضيقة جوار الجامع الكبير، لكنه صبر وتغلَّب على هذه الظروف بعصاميته؛ فلم تنل من همته العالية في طلب العلم، بل جعلته في المستقبل أثناء عطائه العلمي والجهادي يبني المراكز الفسيحة لإيواء طلبة العلم والاهتمام بهم: فبنى مدرسةً جوار مسجد الأبهر في صنعاء القديمة، ثم أسس مركز البليلي كسكن لطلاب العلم في الجامع الكبير، وبعد ذلك أسس وشيد بفضل الله القلعة العلمية الكبرى (مركز بدر العلمي والثقافي).

مركز بدر العلمي

كان العلامة المرتضى ذكيًّا ونشيطًا وشغوفًا بطلب العلم؛ فكان يَدْرُسُ في اليوم الواحد عدة دروس، ويجلس عند أكثر العلماء في حلقاتهم، وبلغت في بعض الفترات ١٤ درسًا يحصِّلُهَا بهمة عالية، أضف إلى ذلك الدراسة الرسمية التي كان متفوقا فيها. واصل العلامة المرتضى طلب العلم في الجامع الكبير، وعند العلماء، وكان من أبرز مشائخه القاضي العلامة/ عبدالحميد معياد (رحمه الله)، ثم ارتقى إلى القاضي المتميز العلامة الكبير /عبدالله السرحي (رحمه الله)، واستفاد منهما كثيرا، خصوصًا علوم اللغة والأدب والتفسير، واستفاد من كثير من العلماء غيرهما.

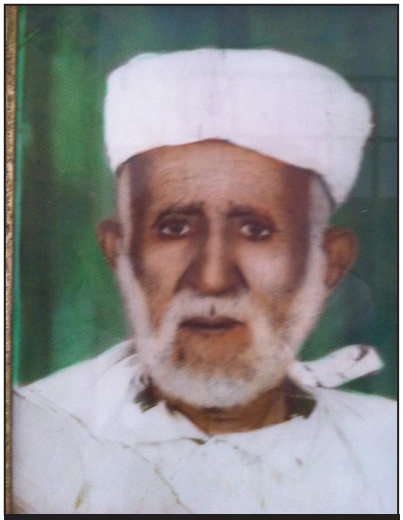

القاضي العلامة/ عبدالله السرحي

القاضي العلامة/ عبدالحميد معياد

كان العلامة المرتضى أثناء طلبه للعلم قد تزوَّج في القرية قبل هجرته العلمية إلى صنعاء ولم يكتب لهذا الزواج النجاح، فجعل همته وجلَّ وقته في تحصيل العلم وإدراك بقية العلماء، وكان يعود لزيارة القرية وأسرته مرة واحدة في السنة في شهر

رمضان المبارك، وعندما كان يصل القرية كان يدرِّس بل يحوِّلها إلى مدرسة ودورة علمية؛ حيث كان يباشر تدريس القرآن في مسجدها لأبناء القرية حتى من هم أكبر سنًّا منه؛ حرصا منه على أن يتعلَّمُوا، وذلك بعد أن جوَّد القرآن وأتقنه على كبار المشائخ المقرئين في الجامع الكبير أمثال الشيخ/ المقرئ محمد العُمَري، والشيخ/ المقرئ علي الوِتْرِي، والشيخ/ المقرئ محمد حسين عامر وغيرهم.

أُعجب السيد العلامة زيد المحطوري بولده المرتضى ونشاطه، وبدأ يرى ثمرة هجرته العلمية من العام الأول لها؛ فقال له مشجعا المثل الشعبي: «الديك يصيح من البيضة».

الشهيد مع والده

واصل العلامة المرتضى طلبَ العلم في العاصمة صنعاء، في مساجدها المشهورة، وعند علمائها الأكابر، وهو مع ذلك يدرس في جامعة صنعاء ـ كلية الشريعة والقانون ـ حتى تخرَّج منها بدرجة جيد جدا مع مرتبة الشرف؛ فَعُيِّنَ معيدًا بها، وتحسَّن وضعه المادي قليلا؛ إذ صار له مرتبٌ (معاش)، ولكن تلك الظروف الصعبة التي مر بها وعايشها سواء في قريته أو هجرته إلى صنعاء صقلته وعلَّمته حسن التدبير؛ فعزم على أن يتزوج في صنعاء بعد أن فَسَخَ زواجه الأول في القرية، ولكنه لا يجد مسكنا فهو لا يزال طالب علم مهاجرا، فقرر العزم على شراء أرض وبناء بيت له؛ فوفَّر ما استطاع من مرتبه الزهيد الذي لم يكن يكفي لشراءِ متطلبات الحياة والدراسة رغم حرصه على اقتناء الكتب وعشقه لها عشقًا يفوق التصور، إذ كان يقدِّم شراء الكتاب حتى على احتياجاته وقوته.

اشترى له قطعة أرض وقرر البناء فيها؛ فهيأ الله له البَنَّاءَ وبعض العمال من قريته وعليه كفايتهم: أي توفير الطعام لهم؛ فكان يصنع لهم طعام الفطور، ويواكبهم ليساعدهم في البناء، ثم يسبقهم ليطبخ لهم طعام الغداء والعشاء، ومع ذلك كان ينطلق كالصقر بهمة عالية لتحضير دراسته العليا في الجامعة، ولا يُفوِّت درسًا من دروسه العلمية لدى مشائخه العلماء؛ فيظل من الفجر حتى المساء وهو في كفاح وعناء وجهاد كبير.

بدأ العلامة المرتضى يقوم بدوره التبليغي والإرشادي؛ من خلال خطب الجمعة، حيث رزقه الله الفصاحة والطلاقة، وكان بشوشا ذا نفس لطيفة مرحة؛ فكان يخطب في المساجد متنقلاً بين القرى.

هيأ الله له أسرة كريمة من أقاربه هي أسرة السيد العلامة الأديب / محمد أحمد علي المحطوري؛ حيث كان السيد العلامة محمد أحمد علي المحطوري يسكن العاصمة صنعاء منذ وقت طويل؛ فتقدم

العلامة المرتضى لخطبة ابنته السيدة الفاضلة / عالية بنت محمد أحمد المحطوري، وتم الزواج المبارك بفضل الله ، وكانت هذه السيدة المؤمنة الفاضلة امرأة عظيمة مجاهدة، فكانت نعم العون لهذا العالم المجاهد، شجَّعت، وساندت، وصبرت، وجاهدت، وخدمت العلم والعلماء وطلاب العلم بكل محبة وإخلاص، وكناها العلامة المرتضى بـ(أم هاشم)، ويقصد بذلك أم طلاب العلم وطالباته؛ حيث إنه لم يُنجب .

مع عمه (والد زوجته) ووالده

كانت السيدة الفاضلة أم هاشم تمثل في حياة زوجها السيد العلامة المرتضى بن زيد المحطوري دور أم المؤمنين خديجة الصديقة الكبرى، التي آمنت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين كذبه الناس، وواسته بنفسها ومالها حين حرمه الناس، وحقا يصدق عليها القول: «وراء كل رجل عظيم امرأة». كانت مؤمنة بمشروعه التنويري الجهادي، فطلبت العلم وتعلمت القرآن والفقه وغيرها. وكانت امرأة كاملة قوية شجاعة لها مواقف عظيمة تزلزل فيها الرجال وثبتت .

عِلْمٌ وجـــهـــاد

ما إن استقر العلامة المرتضى، ووجد الرعاية الكاملة والتشجيع من شريكة حياته ومشوار جهاده السيدة / أم هاشم حتى انطلق بعزيمةٍ قوية في نشر العلم وإحياء حلقاته خصوصا وأنه رأى عزوف الناس والشباب عن طلب العلم ، وكان يلاحظ أن العلماء يكاد الزمن يفنيهم، وليس هناك بديل يخلفهم من هذا الجيل؛ فدعا العلماء إلى التدريس في الجامع الكبير وإحياء دوره، وخاطب المجتمع وحثَّه على العلم، ونادى في كل محفل بالعلم ودوره وأهميته، وضرورة أن يتعلم الناس العلم وأمور دينهم حتى تبقى لهم هويتهم التي وصفها الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » بقوله : «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**» .

استجاب العلماء الكبار أمثال الوالد العلامة السيد / محمد بن محمد المنصور (رحمه الله) وغيرهم، وتشجعوا وتحركوا بحماس هذا العالم الشاب ، وحضروا الجامع الكبير، وأقيمت حلقات العلم والدورات الصيفية، وأصبح

الجامع الكبير خلية نحل لها دوي من كثرة الحلقات وطلاب العلم، ولبَّى الناس نداء المرتضى، فأقبلوا على العلم، وهاجر الطلاب من الريف نحو الجامع الكبير لطلب العلم، واحتاجوا إلى مأوى وسكن، كل هذا والعلامة المرتضى هو المحرِّك الأساسي، والمدرِّس الأول، والقلب النابض في هذه الحركة العلمية في الجامع الكبير وغيره.

كان العلامة المرتضى قد استعان ببعض فاعلي الخير ، وبنى مدرسة لتعليم القرآن الكريم جوار مسجد الأبهر في صنعاء القديمة، وعندما رأى توافد الطلاب من القرى لطلب العلم ولا مأوى لهم عزم على بناء سكنٍ لهم؛ فبنى مركز البليلي في الصافية كسكن لطلاب العلم ووقفه (حبّسه) لهم.

وكان الطلاب ينتقلون من السكن في البليلي إلى الجامع الكبير كل صباح لأخذ الدروس، وتحوَّل الجامع الكبير إلى روضة غناء ، ونشاط وحركة وبركة.

تزايدت أعداد طلاب العلم، وكان سكن البليلي يكتظ بهم خصوصا في الدورات الصيفية فاضطر العلامة المرتضى أن يستأجرَ لهم منزلا جوار منزله الذي بناه، كان كل هذا النشاط يجري والعلامة المرتضى يبذل قصار جهده فيدرِّس بنفسه في الجامع الكبير، ويتولى توفير المأكل والمسكن لطلاب العلم، ويشرف عليهم، وهو في الوقت نفسه يواصل دراسته الجامعية (الماجستير) ويؤدِّي دوره في الإرشاد بالمحاضرات وخطب الجمعة؛ حيث كان يخطب الجمعة في مسجد الإمام الحسين (عليه السلام) في حي الصافية.

ولم يغفل العلامة المرتضى الجانب النسائي ؛ حيث كانت نظرته للمرأة متميزة ومنفتحة، وكان كثير الاهتمام بهن؛ فكان يقيم الدروس والدورات الصيفية لهن في منزله بمنطقة الصافية، حيث كان المنزل يمتلئ بالطالبات، ثم قام باستئجار مبنى لهن بالصافية، ووفر لهن فيه مشغلا للخياطة والأعمال اليدوية، وأسس جمعية نسوية سميت باسم جمعية الهدى الخيرية.

ثم بعد ذلك احتاج العلامة المرتضى أن يؤسس جمعية خيرية لتهتم بطلاب العلم وتخدم هذا المشروع ؛ فكانت « جمعية الإيمان »، والتي تحول اسمها فيما بعد إلى « جمعية بدر الخيرية ».

كان العلامة المرتضى يتميز بالنشاط والحركة ويكره الرتابة والبلادة والجمود، وكان أَبِيًّا ثائرا زيدي البيئة والعقيدة ، كان يحمل هم الأمة ويسعى لتغيير الواقع السيء لها من خلال خطبه ومحاضراته وإرشاداته، ومن خلال تربية الأجيال والشباب، وتهذيبهم وغرس المفاهيم الإسلامية السليمة في نفوسهم، كما كان يشدُّ المجتمع للتمسك بالقيم والأخلاق والعادات الحسنة التي بدأت تختفي مع التمدن الحضاري ، والغزو الفكري .

كان يطمح إلى التغيير نحو الأفضل في كل شيء، لا يمكن أن يرى الخطأ في محيطه ويتساهل عنه أبدًا .

أدرك النظام الحاكم في ذلك الوقت خطورة هذا الرجل وهذه النهضة العلمية التربوية؛ فكان يتابع خطب العلامة المرتضى اللاذعة، والتي كانت تمثل ثورة ضد الفساد والباطل ، تجذب الجماهير الكثيرة، وقام باعتقاله عدة مرات بسبب انتقاده الصريح للفساد والظلم في خطب الجمعة، حيث كان العلامة المرتضى شجاعًا صريحًا قوَّالاً بالحق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مما زاد في محبيه و زاد في ابتلائه .

كل هذه الاعتقالات زادت العلامة المرتضى قناعةً وتمسُّكًا بمشروعه التربوي التعليمي لإنقاذ الأمة، وكان صاحب إرادة قوية لا تتزحزح؛ فهيَّأ الله لهذا المشروع الدعوي التنويري التعليمي مكاناً في مسجد بدر؛ حيث كان يقع في ملحقٍ لحديقة ٢٦ سبتمبر ومن حوله مساحة واسعة.

انتقل العلامة المرتضى وخطب الجمعة في ذلك المسجد، وحط رحله فيه عازما على بناء مركز علمي يُؤوي طلبة العلم ويدرِّس فيه؛ فكان ذلك مركز بدر العلمي، وما أدراك ما مركز بدر العلمي؟! ملحمة من الجهاد والنضال والعلم والعمل، وقلعة علمية شامخة .

صورة للمركز عند تأسيسه

مسجد بدر أثناء تشييده

تأسيس وبناء مركز بدر العلمي

سعى العلامة المرتضى لدى الجهات الحكومية لمنحه قطعة أرض جوار مسجد بدر؛ ليبني مركزا لتعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فوافقت الحكومة ومنحته الترخيص.

حمل العلامة المرتضى على عاتقه بناء وتأسيس هذا المركز العلمي، وشرع فيه عام ١٩٩٣م/١٤١٤هـ فهو صاحب هذا المشروع التربوي والنهضة العلمية؛ ولأنّ التوجه السياسي في البلد كان ضد المذهب الزيدي فقد كانت المضايقات والصعوبات كثيرة جدا.. لم تتوقف حلقات العلم أبدا رغم كثرة المشاغل والمتاعب والمضايقات؛ فكان العلامة المرتضى يدرِّس في الجامع الكبير، ثم يندب الناس للتعاون في بناء مركز بدر؛ فيخرج طلاب العلم ومحبو الخير إلى جوار مسجد بدر ليباشروا جميعا أعمال البناء والحفر وغيرها، وقائدهم العلامة المرتضى يباشرِ العمل بنفسه بهمة عالية ونشاط منقطع النضير يجعلهم يقتدون به ، متذكِرين رسول الله والمسلمين عند بناء المسجد النبوي ؛ وكان طلاب العلم المهاجرون يعملون ليلا ونهارا في هذا المركز ويقومون بحراسته .

الشهيد وهو يعمل في المركز

وما إن بدأ العمل في بناء هذا المركز حتى شُنَّتْ عليه الغارات والدعايات، وحـرَّك التيار الوهابي التكفيري النافذين في السلطة لإيقافه والإجهاز عليه.

أسس العلامة المرتضى هذا المركز بإخلاص وصدق ؛ ليكون منارة علمية تهدي الحائرين، وقلعة تنويرية تربي الأجيال، راجيا من الله القبول؛ ليكون له ذخرًا؛ عملا بالحديث النبوي: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» فرأى أن بناء هذا المركز – الذي تحتاج له الأمة، وطلاب العلم، وليس لها مركز آخر– هو الذي يحقق له الأجر الكبير، ويعوِّضه ما حرم من الولد الصالح؛ فـ(**طالب العلم**) الذي تعلَّم على يديه القرآن والعلم والهدى هو من يعود بالدعاء والأجر عليه، و(**مبنى المركز**) هو الصدقة الجارية المنتجة للصالحين من طلاب العلم والعلماء، (**والكتاب**) الذي ألفه أو حققه وطبعه، و(**العلم**) الذي بثه وعلّمه هو ما ينفع الأمة جيلا بعد جيل.

حرص العلامة المرتضى على أن يكون البناء للمركز حديثًا، واسعًا، مرتَّبًا، قويًّا، نظيفًا، كما كانت نظرته للدين القويم، وكما ربَّى طلاب العلم عليها. فقد كان سابقا لأهل زمانه، بعيد النظرة، مسارعا، مبادرا، عركته الحياة.

بذل العلامة المرتضى كل ما يملك في تشييد هذا الصرح العلمي، واستعان بفاعلي الخير، وكان يضع معظم مرتباته في بناء المركز لا يأخذ منها إلا كفايته وزوجه أم هاشم، وفي اقتصاد وحرص، حتى إنَّ من لا يعرفُهُ ظنَّه بخيلا، وما هو إلَّا حرص وتوفير لبناء شيء للأمة هي في أمس الحاجة إليه. وكان لا يهمه ما يقال عنه؛ فالناس أعداء ما جهلوا، بل كان يقول: «أهم شيء رضا الله تعالى»، وكان صريحًا شجاعًا في قول الحق رضي من رضي وسخط من سخط مما أدى إلى ظهور خلاف معه من بعض أصدقائه فما بالك بأعدائه.

وكان من أبرز صفاته أنه كان لا يحمل ضغينة في قلبه مع من اختلف معه، وكثيرا ما كان يردد: «لا تبدّ للعائب بعيبه».

الشهيد يشرف على البناء

كان العلامة المرتضى سموحًا لطيفًا، وكان إنسانا مفعما بالمشاعر، يعيش الحياة كلها بإنسانية، وببساطة دون تكلف، ومع ذلك كان شديدا صارما أمام الباطل وأعداء الله وأعداء دينه.

كان العلامة المرتضى نشيطا يكره العجز والكسل، فكان يباشر العمل بيديه الشريفتين، وكان يحدّث عن نشاط أهل قريته وعملهم سابقًا ويقول: كنَّا نعمل أكثر من الصينيين واليابانيين، شاحذًا بذلك الهمم والعزائم على العمل والإنتاج.

كان يحرص على هذا المركز وأدواته كل الحرص؛ فتراه يطوف عليه من الصباح وبعد صلاة الظهر وقبل المغرب، وهكذا.

كان يباشر النظافة بنفسه ويلتقط القمامة من حوش المركز، ويعلِّمُ طلاب العلم النظافة في كل شيء، حتى في المأكل والملبس، وكان محبا للبيئة من حوله، مهتما بالشجرة، يدعو الناس للزراعة ويحث عليها فحديقة المركز لها جزء من وقته واهتمامه.

الشهيد وهو يعمل في المركز

استمر في تشييد هذه القلعة الشامخة، وهو مع ذلك يدرِّس، ويعلِّمُ، ويكتب، ويؤلِّفُ، ويُشْرِفُ بنفسه على أعمال البناء وغيرها، وما إِنْ تم بناء الدور الأرضي «البدروم» حتى دبَّت الحياة في مركز بدر العلمي، وبدأ نشاطه، حيث انتقل طلاب العلم للسكن فيه، ثم انتقل العلامة المرتضى إليه بعد أن جهز سكنا له في المركز؛ وتحركت مسيرة العلم والعمل والجهاد حقيقة لا مجازا.

وهو يدرس في مكتبته

نشاطاته العلمية

أصبحت الأفئدة تهوي إلى مركز بدر العلمي والثقافي، وتشتاق لرؤيته وزيارته، خصوصا بعد أن انتقل إليه العلامة المرتضى، وبعد أن واجه اعتداءات من قبل التيار التكفيري الوهابي ؛ فصار هذا المركز ساحة مقدسة مليئة بطلاب العلم ، وأقيمت الدورة الصيفية الأولى عام ١٩٩٤م، وحضر أكابر العلماء ليباركوا هذا المركز في حفل ختامها، وألقيت الكلمات من قبل العلماء وطلاب العلم، إلا أن شيئا ما كان ناقصا في ذلك الحفل ألا وهو الأب الحنون، والمربي الفاضل، والمجاهد الهمام العلامة المرتضى ؛ حيث كان مسافرا لمناقشة رسالة الدكتوراة في القاهرة، وقد حصل عليها في رسالته « عدالة الرواة والشهود وتطبيقاتها في الحياة المعاصرة »

وحاز على شهادة أفضل رسالة دكتوراة قدمت في ذلك العام .

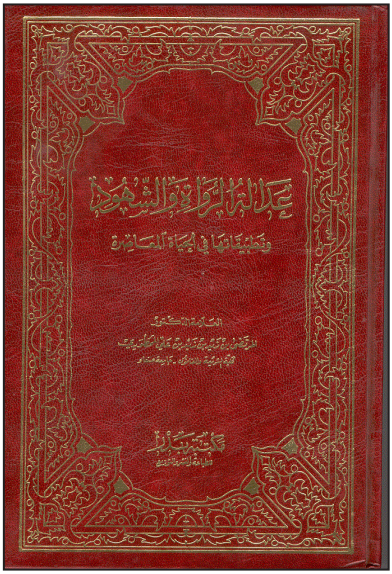

ودارت عجلة المركز تُربي الأجيال؛ فكان المركز يتسع في بعض الدورات الصيفية لأكثر من ٥٠٠ طالب وطالبة، وفيه قسم داخلي، وفي الدورة العلمية «الشتوية» يكون العدد أقل، ولكن الدراسة فيها مركَّزة وقوية، يتخرج منها الطالب إمامًا للصلاة، خطيبًا عالمًا.

طلاب العلم أثناء تناول الطعام

توسَّع المركز شيئا فشيئا فأنشأ العلامة المرتضى فرنا «للخبز» لتغطية احتياجات طلاب العلم وغيرهم من الفقراء، وأنشأ مكتبة عامة ضخمة في المركز وقف فيها كتبه وكتب بعض العلماء، وكانت هذه الخطوة نواةً لإنشاء قسم البحث والتحقيق في المركز.

وتواصلت زيارات العلماء لهذا المركز، حيث وجدوا فيه أملهم وأمنيتهم.

فهذا العلامة الكبير مفتي اليمن والحجاز السيد / مجد الدين المؤيدي (رحمه الله) زار هذا المركز، وحاضر طلاب العلم فيه، وأقام فيه مدة يدرس ويؤلف، وكذلك العلامة الحجة/ محمد بن محمد المنصور (رحمه الله) والسيد العلامة حمود بن عباس المؤيد وغيرهم كثير، كانوا على رأس هيئة التدريس في المركز، حيث

كانت محاضراتهم وزياراتهم تتوج دروس الأسبوع والدورات التي تقام في هذا المركز المبارك .

العلامة / مجد الدين المؤيدي عند زيارته للمركز

العلامة / محمد المنصور في زيارة

أسلوبه في التدريس

تميز العلامة المرتضى بأسلوبه الفريد في التدريس والتعليم والتربية؛ فهو فريد عصره في ذلك، كما أن أسلوبه التعليمي والتربوي متميز ومؤثر جدًا؛ كان يمزج الشدة باللين ، ويستخدم التشجيع والعتاب ، وكان الطلاب مع كثرتهم يستفيدون منه ؛ حيث كان يعتمد أسلوب التلقين كثيرا في تدريس القرآن الكريم، وكان يحث على تجويده وإتقانه، كما كان يهتم باللغة العربية ويشرحها بإيراد الأمثلة التبسيطية الموضّحة، وكان لا ينتقل من مسألة إلى أخرى إلا بعد أن يَفْهَمَ التلاميذ ما سبق فكان العلم للعلم ثم للعمل في الميدان لا لأجل الشهائد ، وكان يشركهم في العملية التعليمية من خلال طرح الأسئلة وطلب الإجابة منهم، ويهتم بالتطبيق العملي، خصوصا الفقه، وإعمال النحو(الإعراب) وكان لا يقبل الخطأ واللحن في قولٍ أو كتابة وكثيرا ما كان يتألم عندما يسمع مقدمي الأخبار يلحنون ويخطؤون فينتقد ذلك بشدّة؛ وكان الطلاب لا يَمَلُّون درسه لما يتحفهم به من الطرائف والفكاهات والقصص، وكان له نَفَسٌ طويل، وصبرٌ في تعليم الأجيال، حتى المبتدئين والنشء الصغار، وهذا دليل على تواضعه وتفانيه في نشر العلم. وكان يحث طلابه المتقدمين على الخطابة وإرشاد الناس والدعوة إلى الله، ويوجههم ويشجعهم على ذلك بما يقدر عليه، فلهم ميزةٌ بين طلابه.

الشهيد يدرس طلابه

وعندما تُقبل العطلة الصيفية يرسلُ البعضَ ممن درس في الدورة الشتوية (العلمية) إلى القرى والأرياف للتدريس وإقامة الدورات الصيفية ويشجعهم؛ حيث كان الناس يأتون من كثير من القرى يطلبون المدرسين لقراهم، وهكذا فُتحت فروع كثيرة لمركز بدر العلمي، واستفاد الناس من بركاته، وذاع صيته في الآفاق .

في دورة صيفية

حلقات الدرس بالمسجد

برنامجه اليومي

ما إن يقترب الفجر حتى تسمع الحركة من منزله يتوضأ، ويصلي ما شاء الله من ركعات ، ثم يخرج ليصلي بالناس الفجر، ويدخل إلى مكتبته حيث يلقي الدروس فيها، وما إن يكتمل توافد الطلاب حتى تطرق الباب السيدة المكرمة أم هاشم بقهوة الصباح للدكتور خاصة، وللطلاب أحيانا، ثم يدرِّس العلامة المرتضى بنشاط وكان يكره النوم بعد صلاة الفجر، ويحذّر طلابه منه، وبعد الدرس يخرج ليشرف على المركز وما يحتاج إليه، ويهتم بالحديقة ويتحرك في نشاط وعزيمة ، ثم يتناول فطوره(طعام الصبوح)، ويذهب إلى الجامعة لإلقاء محاضراته ، وعند ذهابه يأخذ معه بعض الطلاب، وفي الطريق يعلِّمهم القرآن تجويدا وتلاوة، ويناقشهم في إعراب بعض الكلمات والآيات، ويحول السيارة إلى مدرسة، وكان يحب طالب العلم النشيط التقي، ويكرمه ويقربه، ويفضله حتى على أقاربه .

كان العلامة المرتضى خفيف الحركة، صاحب فكاهة ونفس مرحة، يمزجها في التدريس فتؤتي أكلها ؛ فكانت القاعة التي يحاضر فيها بالجامعة تمتلئ بالطلاب من شتى الأقسام، ومع ذلك كان يفضح النظام المتسلط، وينتقد الفساد والظلم بذلك الأسلوب الرائع، مؤدِّيا دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى الخير.

كان بشوشا يوزِّع ابتسامته على كل من لقيه رغم الصعاب والمشاكل والظروف المؤلمة التي مَرَّ بها، وبعد عودته إلى المركز يبادر إلى الصلاة ويحرص على أدائها جماعة؛ حيث كان يصلي الفروض الخمسة إماما في المسجد لا تفوته إلا لأمرٍ طارئ، وبعد صلاة الظهر يخرج إلى الحديقة في حوش المركز ويأخذ في العمل فيها حتى يحين وقت الغداء، وبعد تناول الغداء : إما أن يأخذ قيلولة ثم يصلي بالناس العصر إماما في المسجد، أو يباشر العمل في قسم التحقيق في المكتبة ، وأحيانا كان يجمع الفرضين إذا لديه عمل يريد إنجازه، وكان يحرص على مرافقة الكتب والأوراق أينما ذهب، حتى حينما يذهب للمقيل يوم الجمعة يأخذ الكتب التي يريد مطالعتها، خصوصاً كتاب شرح نهج البلاغة ومقامات الحريري، أو يأخذ الأوراق التي يحققها في يده، ويحادث ضيوفه قليلا ثم يعمل، ويمتعهم بما يطالعه لهم ويفيدهم، وهكذا.

ثم يؤدي صلاة المغرب إماما في المسجد، وكان يواظب بعد ركعتي سنة المغرب على صلاة الفرقان، ويحث عليها، ويقول: هي صلاة العلماء، ثم يجمع الطلاب ويربيهم ويحاضرهم فيما ينفعهم، ويقوم بالتدريس لجميع الطلاب: القرآن الكريم وعلومه، وكانت دروسه جامعة، يتناول فيها التجويد واللغة والإعراب والعقائد والأخلاق ويربطها بالواقع، فكانت دروسا حيَّة منعشة .

وبعد أن يصلي العلامة المرتضى بالناس العشاء في مسجده ويتم درس طلابه يتوجَّه إلى سكنه في المركز فيتناول عشاءه، وكان يعطي من عشائه على من بجواره من طلاب العلم، ثم يتابع نشرة الأخبار وما يدور في العالم من أحداث، ثم ينام مبكراً فلا أحد يتصل به بعد الساعة العاشرة مساءاً، وكان ينصح طلابه بذلك، ويوجههم ويقول: خلق الله الليل للراحة ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ .

كان العلامة المرتضى مدرسة متكاملة للحياة تتربى عليها الأجيال في حركته، ونشاطه، وهمته، وعزيمته، وحسن تدبيره لشؤون الحياة .

وفي شهر رمضان المبارك كان يقيم محاضرات إرشادية ودروسا عامة في الجامع الكبير –بصنعاء كل يوم خميس وجمعة وذلك قبل صلاة العصر، وكان الناس يستمتعون بذلك للهجته الشعبية القريبة من الناس، ونُكته المرحة، فيعزز في نفوسهم قيم الإيمان، ويشدُّهم إلى الفضيلة ، ويذكِّرهم بالله، ويعلِّمهم سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والعبر منها، وغير ذلك.

كان العلامة المرتضى زينة المجالس وبهجة المحافل، أينما وُجدَ أمتع سامعيه وأفادهم ؛ فكان الناس يحرصون على أن يحضر مناسَباتهم: كالأعراس وغيرها؛ فاستغل هذه المناسبات في الدعوة إلى الله خصوصا في القرى والريف ؛ فكان المجدد لمذهب أهل البيت (المذهب الزيدي) موضحا أدلته، ومبينا تسامحه، ومحذرا من خطر التيار التكفيري الوهابي الدخيل على بلد الإيمان والحكمة في كل مناسبة.

وكان يجيب الدعوة، ويحب الناس ويخالطهم ، ويتعرف عليهم وعلى مناطقهم وعاداتهم، فكانت له علاقات اجتماعية واسعة في المجتمع اليمني بكل فئاته وأطيافه سخرها في التوعية والإرشاد.

في أحد الأعراس

ولما رأى تراث أهل البيت (كتب المذهب الزيدي) مهملة مهجورة تحركت عزائمه، وبدأ مشوار التحقيق للكتب والمخطوطات بصعوبة بالغة، وبذل جهودا كبيرة، وأخرج للأمة نفائس الكتب، بصبر، وتدقيق، وضبط منقطع النظير .

– أما المناسبات الدينية، أو الاحتفالات بمناسبة انتهاء الدورات الصيفية أو العلمية– فكانت كلمة العلامة المرتضى هي مسك الختام، وكان جماهير الناس ينتظرون سماعها؛ فكانت تُقَدَّمُ كلمات الضيوف والعلماء قبل كلمة العلامة المرتضى؛ لأن أغلب من حضر كانوا إذا انتهوا من سماع كلمته انفضوا وقاموا من مجالسهم.

كانت كلماته بأُسلوبه الفريد تشحذ الهمم، وتحرِّك العزائم، وفيها إرشاد وتوجيه وبناء للفرد وللأمة: فيها العتاب اللطيف للحاضرين والجمهور، وفيها التبيين والشرح والمقارنة، كل ذلك يمزجه بالنكتة الطريفة، والمثل الشعبي، والقصة القديمة عما كان عليه الآباء والأجداد من القيم والعادات الحسنة.

جانب من الحضور في ذكرى عاشوراء بصالة المركز

الصبر وحجم المعاناة

ما إن بدأ طلاب العلم ينهلون العلم بمركز بدر العلمي والثقافي حتى جُنَّ جنون التيار التكفيري الوهابي في اليمن؛ فحرَّضوا أجهزة الدولة العسكرية وغيرها ده، ولما عجزوا حركوا أذرعهم وعناصرهم النافذة في السلطة؛ فكان رئيس ما يسمى (جمعية الإصلاح)أحد هذه الأدوات الرخيصة الخصم الأول لهذا المركز، وأخرج حملة عسكرية لمهاجمة المركز؛ثم استعان بالمرتزقة والتكفيريين، ولكن المؤمنين من طلاب العلم المجاهدين وعددًا من أولياء الأمورالصادقين الأوفياءكانوا يتصدون لكل محاولاتهم.

لجأ التيار التكفيري الوهابي إلى التشوية لسمعة العلامة المرتضى بالافتراءات والأكاذيب؛ فدبلجوا فيلمًا ونشروه اتهموا فيه العلامة المرتضى ومعه مفتي اليمن سابقا العلامة أحمد زبارة (رحمه الله) بالماسونية.

وكانت منشوراتهم وملصقاتهم تملأ الشوارع والمساجد، وتصف المرتضى بأنه الدجال، وأنه ...، وأنه ..... إلى آخر ما هنالك من الأكاذيب والافتراءات.

رد عليهم العلامة المرتضى في خطب الجمعة وفي المحاضرات، وبَيَّنَ للناس كذبهم وافتراءهم ، وتحدَّى دعاة التيار التكفيري الوهابي وقادتهم، ودعاهم للمناظرة والمحاججة فأحجموا وتقهقروا ؛ لمعرفتهم بفصاحته وقوة حجته؛ ولأنهم أهل زيف وباطل.

وكتب العلامة المرتضى بيانا فضح فيه دجلهم وتضليلهم للناس باسم الإسلام، واسم الإصلاح، وبَيَّنَ أعمالهم وأهدافهم.

زاد هذا الاستهداف الممنهج، والتشويه المتعمَّد العلامة المرتضى قوةً وحضورا وعزيمة:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرف العود

وأصبح العلامة المرتضى هو الخصم العنيد، وحجر العثرة التي كشفت زيف المبطلين المدَّعين للدين؛ مصداقا لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله: ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وفي أحد الأيام قام أحد التكفيريين أثناء خطبة الجمعة وحاول إطلاق النار من مسدس، ولكن الله أفشل المؤامرة وتصدى له المؤمنون وأخرجوه.

كان استهداف التيار الوهابي التكفيري للعلامة المرتضى لا لشيء إلَّا لأنه عالم زيدي يدعو لمحبة آل النبي، والإمام علي، ويقف ضد الظلم والفساد، ويدعو الناس إلى الله ويحثهم على العلم وعلى القيم التي كان عليها المجتمع اليمني رافضًا الفكر الوهابي الدخيل على بلد الإيمان والحكمة.

لم يكن للمذهب الزيدي من ظهير في ذلك الوقت حيث كان النظام ذلك الحين قد قام على أنقاض حكم الإمامة الزيدية في ثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢م، وكاد المذهب الزيدي يندثر؛ حيث فتح ذلك النظام المجال للتيار الوهابي التكفيري بدعم من مملكة آل سعود (قرن الشيطان)، وكانت التهمة الخطيرة للمذهب الزيدي هي مسألة «الإمامة»؛ فهو مذهب ضد النظام كما أرجفوا آنذاك، وكرر المنافقون والمبغضون لهذا المذهب العزف على هذا الوتر الحساس لدى رأس النظام وأركانه.

كان العلامة المرتضى جريئا ، شجاعا، لا يخاف في الله لومة لائم؛ فكانت خطبه يوم الجمعة ضد الظلم، والفساد، والاستبداد ، وكانت مليئة بالنقد اللاذع وكشف الفساد والمفسدين وبنبراته الحادة وصوته الصارخ خلق وعيا في جمهوره، وتكاثر المؤمنون والمستضعفون على صلاة الجمعة في مسجد بدر لدى العلامة المرتضى، وبعد الانتهاء من الصلاة كانت أبواب (تسجيلات مكتبة بدر) يزدحم عليها المصلون للحصول على تسجيل للخطبة يتداولونها ويعيدون سماعها .

و كان العلامة المرتضى يوجِّه جمهوره إلى أمور عملية كثيرة: منها التبرع لصالح مشروع المركز وطلابه، أو شراء كتب العلم المفيدة، أو في الأمور الاجتماعية والدينية: كترك العادات السيئة في الأعراس: من التبذير، والإسراف، ومغالاة المهور، وكذلك ترك التدخين وغير ذلك؛ فكان الناس يرونه المرشد والمربي والموجِّه والمجاهد الشجاع ضد الظلم والظالمين، في حين لم يكن يجرؤ الكثير على قول الحق .

فمن صراحته أنه في بعض خطبه وجَّه النقد إلى رأس السلطة مباشرة: أي إلى رئيس الجمهورية، ناصحا وموضحا أن مكافحة الفساد يجب أن يبدأ به الرأس مستشهدا بهذه الأبيات:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَـلَّا لِنَـفْسِكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِيمُ

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَـإِذَا انْتَهَتْ عَـنْـهُ فَـأَنْـتَ حَكِيمُ

لَا تَنْـهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَـارٌ عَـلَـيْـكَ إِذَا فَـعَـلْـتَ عَظِيمُ

وفي عام ١٩٩٨م وبعد خطبة الجمعة في ذكرى ثورة ٢٦ سبتمبر التي ناقش فيها الفساد، وأبان أن المؤسسات الحكومية إنما هي شكلية، والفساد باق وَرَسْمِيٌّ، وتساءل فيها من المسؤول عن الفساد؟ ما إن حل المساء وانتصف الليل حتى وصلت قوات الأمن السياسي(المخابرات) لاعتقال هذا العالم المجاهد ، وفي الصباح وبينما طلاب المركز يتناولون فطورهم هاجمتهم قوات عسكرية كبيرة اقتحمت المركز بعد محاصرته وقطع الشوارع من كل الاتجاهات وأخرجت طلاب العلم، وعائلات المدرسين من المركز، وفتشت المركز وعبثت فيه، وأُغْلِقَ المركز لأكثر من ثلاثة أسابيع، واعتقل طلاب العلم ، وظل العلامة المرتضى لمدة لا تقل عن شهرين تحت الاعتقال التعسفي الجائر بتهمة سياسية كيدية، حيث علقت السلطة آنذاك على المركز لافتة مكتوب فيها: (هذا المركز ضد الثورة والجمهورية ويدعو لعودة الملكية) .

ولكن الاعتقال والسجن لم يقيد عزيمة العلامة المرتضى ، بل حوَّل السجن إلى مدرسة ومنارة؛ حيث حرص العلامة المرتضى على اصطحاب أحب رفقائه في الحياة (الكتب) وظل في السجن يُعلِّم الدين، وينشر الهدى بين السجناء، وبعد فترة من الاعتقال تم الإفراج عن العلامة المرتضى بعد مراجعات وضغوط كثيرة .

وفي أحد الاعتداءات المتكررة على المركز باشرت الأطقم العسكرية إطلاق النار إلى مبنى المركز وهو مليء بالطلاب في الدورة الصيفية، واقتحم الجنود المركز واعتقلوا بعض الطلاب فواجههم الطلاب بالعصي والحجارة، وفاجأ الجميع العلامة المرتضى بشجاعته النادرة حيث خرج يحمل سلاحه غاضبا، بعد أن انتهكت حرمة المركز، واعتقل طلابه فوق الأطقم العسكرية، وواجه الجنود صارخا حتى أخرجهم من حوش المركز، ولولا عناية الله لحصلت مجزرة مروِّعة.

أصبح العلامة المرتضى هدفا للنظام ، وفقهاء سلطانه من التكفيريين الوهابيين ، خاصة ذراعهم العسكري المجرم (علي محسن) الذي كلَّف أسوأ أعوانه وأتباعه وهو المدعو / صالح الضنين الذي أقدم مستخدما جنود الدولة على هدم حمامات المسجد والسطو على أرضيته، وبنى فيها عمارة ضخمة حاصر فيها المسجد وضيق طريقه. ولم يكتف ببناء هذه العمارة بل قام بالعبث والتخريب والإفساد ، ومحاولة إغلاق المسجد، وأكثر الأذية والشتائم والتهديد للعلامة المرتضى ولطلاب المركز مستغلا ظروف الحرب الظالمة لصعدة.

الاعتداء على المسجد وهدم حماماته

زاد الاستهداف للعلامة المرتضى، ووضعت العبوات الناسفة أمام بوابة المركز لاغتياله عند خروجه عدة مرات لولا عناية الله تعالى.

ولكن العلامة المرتضى صبر وصمد وظل يدرِّس، ويؤلِّف، ويحقِّق، وينتج للأمة رغم هذه المعاناة الأليمة التي كانت تهدف إلى إسكاته وإفشال مشروعه التنويري، لولا رعاية الله له وما منحه من قوة إرادة، وعزيمة صلبة واجه بها الأعداء.

مسك الختام

كان العلامة المجاهد المرتضى بن زيد المحطوري يحمل مشروعا للأمة نذر له نفسه ووقته وحياته فهو يريد أن يغير واقعها السيء؛ من خلال رسالة العلم، وتربية جيل صالح على هدى القرآن ومذهب أهل البيت النبوي (المذهب الزيدي) الذي يمثل الإسلام وسماحته؛ فقد كان يؤمن أنه الفكر الإسلامي الصحيح الذي يمكن أن تلتقي عليه الأمة الإسلامية وتتوحد .

شارك العلامة المرتضى في المؤتمرات والندوات المحلية والدولية، وكان أحد أعضاء مجلس التقريب بين المذاهب الإسلامية البارزين، وكتب في ذلك بحوثا مهمة؛ فكان الهدهد الذي حمل الرسالة من اليمن، وأدهش العقول بفصاحته وعرضه للفكر الإسلامي الرائع الذي يجمع الأمة ويوحدها ، وأثمرت جهوده في توضيح المذهب الزيدي (مذهب أهل البيت) حين مسح الغبار عن جواهره، وأبدع في تقديم نفائسه للباحثين، وفتح له قسما في الجامعة الإسلامية العالمية بطهران لتدريس الفقه المقارن .

في المؤتمر الدولي لدعم فلسطين

كانت الأوضاع السياسية في اليمن تغلي فيما يسمى (بالربيع العربي) عام ٢٠١١م حيث صار الحلفاء خصوما(الإخوان والنظام) ، وخرجت فئة الشباب الحالمين بالتغيير إلى الساحات والميادين مطالبين برحيل النظام الجاثم على البلد أكثر من ثلاثين عاما لم يقدم سوى الفساد والظلم والحروب ... إلخ.

كان الناس يترقبون المواقف وهم ينتظرون المجهول في هذه الثورة، ولكن العلامة المجاهد المرتضى الثائر الأول في وجه النظام وأزلامه لم يتردد لحظة فنزل بنفسه إلى الساحات، وأيد الثورة الشبابية السلمية وذلك في بداية الاعتصامات التي طالت فيما بعد قرابة سنتين ثم تطورت إلى حرب حتى انتهت بتدخلات خليجية ودولية فيما عرف بمبادرة الخليج.

سلَّمت أمريكا عبر دول الخليج السلطة في اليمن لحزب الإخوان المسلمين (حزب الإصلاح) وذراعهم العسكري المجرم (علي محسن)، والذين كانوا حلفاء للنظام السابق طيلة فترة حكمه، وسُرِقَت بذلك ثورة الشباب والفقراء وخادعوهم بالوعود الكاذبة ، لكن الأحرار الشرفاء واصلوا الصمود، ورفضوا هذه المهزلة والخدعة لأبناء الشعب، ورفضوا التدخلات الأجنبية كاملة والمبادرة الخليجية، وكان على رأسهم شباب المسيرة القرآنية «أنصار الله» بقيادة السيد المجاهد / عبدالملك بن بدر الدين الحوثي (حفظه الله)، وواصلوا الاعتصامات ولم يخلوا الساحات، وخرجوا في مظاهرات، وسرعان ما عاد زخم الثورة إلى الشارع اليمني خاصة بعد أن رأى المحاصصة الفاشلة والتدخلات الأجنبية السافرة وعلى رأسها أمريكا حيث أصبح لها وجود عسكري في قاعدة العند، وفي فندق شيراتون بالعاصمة صنعاء، وأصبحت طائراتها بدون طيار تجوب سماء اليمن ... إلخ.

عند ذلك قام العلامة المرتضى بزيارة إلى محافظة صعدة، اطلع فيها على آثار الحروب الست الظالمة، والتقى فيها بالسيد المجاهد/ عبدالملك بن بدر الدين الحوثي (حفظه الله) فأعاد له الأمل بصلاح أوضاع البلاد؛ فرجع العلامة المرتضى وقد وضع ثقته في هذا الشاب الحكيم قائد المسيرة القرآنية.

فرح الكثير من شباب أنصار الله بقدوم العلامة المرتضى بن زيد المحطوري إلى صعدة، حتى قال بعضهم: افتتحت صنعاء بهذا الرجل؛ لما يعرفون من تأثيره وعلاقاته الواسعة بالمجتمع وغير ذلك؛ حيث كان أنصار الله في تلك الفترة يعانون من الظلم والإقصاء والحصار والتعتيم.

لكن التيار التكفيري وخدمةً لأمريكا وإسرائيل استهدف هذا العالم المجاهد كما هو دأبهم ضد الشرفاء من هذه الأمة وضد المصلحين الهداة من آل الرسول وبأسلوب التشويه والتشهير افتراء وكذبا وزورا؛ حيث اقتصوا بعض الكلمات التي قالها ساخرا ووضعوها خارج سياقها، وروَّجُوا لها في قنواتهم وحواراتهم.

وكانت قنوات الفتنة الأمريكية والإسرائيلية (قناة وصال، وقناة صفا) تسعى لإشعال حرب مذهبية طائفية في اليمن، فاستهدفت هذا العالم الجليل من أهل البيت والرمز والمرجع الكبير للمذهب الزيدي في اليمن، وادعوا زورا وبهتانا عليه أنه يسب أم المؤمنين عائشة... إلى آخر افتراءاتهم المضلِّلة، رد العلامة المرتضى عليهم أكثر من مرة وفند كذبهم وافتراءاتهم عبر وسائل الإعلام وغيرها.

– كانت كل تلك الاتهامات الباطلة، وذلك التشوية المفترى عليه تمهيدا لتصفيته واغتياله، وحاولوا ذلك لولا عناية الله ورعايته له، حيث

وضعت العبوات المتفجرة أمام بوابته أكثر من مرة (**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) .

سافر العلامة المرتضى للعلاج مع أهله إلى إيران أخذا بالأسباب لعل الله يرزقه ذرية طيبة وكان قد تزوج بالزوجة الثانية (خديجة المروني) ، وكانت حكومة المبادرة الخليجية الأمريكية قد وضعت اليمن في مأزق، حيث أعلنت رفع أسعار المشتقات النفطية (الجرعة الإقتصادية) وضجَّ الناس ، وكانت مخيمات الاعتصامات مليئة بالثائرين المطالبين بإلغاء الزيادة في الأسعار (الجرعة الاقتصادية) ، ولكن الحكومة كانت مسيَّرة من السفارة الأمريكية، واعتدت على المتظاهرين بمجازر وحشية؛ فهب أحرار اليمن لتصحيح ثورتهم وذلك في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م، وتم إعلان اتفاق (السلم والشراكة) ، وسقط المفسدون والنافذون وفروا إلى منبع الفتنة مملكة آل سعود (قرن الشيطان) .

عاد العلامة المرتضى من سفره للعلاج والتقى برئيس المجلس السياسي لأنصار الله صالح الصماد محملا إياه المباركة والتهنئة للسيد المجاهد / عبدالملك بن بدر الدين الحوثي (حفظه الله)ولأنصار الله بنجاح ثورة الشعب الحقيقية ، وهروب رموز الفساد والإجرام إلى خارج البلاد ؛ فطالما ناضل المرتضى وتمنى أن يرى الحق والعدل يسود ....، والظلم يُزال، والفساد يقتلع ، فقد كان جبهة وحده ؛ يجاهد بلسانه وقلمه ولولا خطاباته في طول البلاد وعرضها، لما اندحر الفساد والباطل على أيدي المؤمنين الأحرار .

أدى العلامة المرتضى دوره كعالم مجاهد؛ فبذل نصحه وإرشاده لأنصار الله والحكومة موصيا لهم أن يهتموا بنشر العدل، وخدمة المجتمع، وضبط الفساد والمفسدين ، وكان يقوم بالإصلاح بين المتخاصمين، وتقريب وجهات النظر، وحل القضايا قدر استطاعته .

وفي يوم الجمعة ٢٩ / جمادى الأولى / سنة ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠١٥م وبينما هو في مسجده وفوق منبره يؤدي واجبه الديني والإرشادي في بداية الخطبة الثانية بعد حمد الله وقول الشهادتين والصلاة على النبي وآله استشهد العلامة المجاهد المرتضى بن زيد المحطوري في منبره بتفجيرٍ انتحاري استهدفه وجموع المصلين، وتلاه تفجير آخر استهدف الخارجين من المسجد حتى بلغ عدد الشهداء أكثر من ٨٠ شهيدا، كانت هذه التفجيرات المزدوجة والتي استهدفت ثلاثة مساجد في اليمن في يوم واحد يوم الجمعة بداية للعدوان السعودي الأمريكي على اليمن، بدؤوا بها ظنا منهم أنهم باغتيال العلامة المرتضى وغيره من الأحرار قد أزاحوا عقبة كبيرة أمامهم لاكتساح اليمن واحتلاله .

المسجد بعد التفجير

منبر المسجد الذي استشهد فيه

كان تحالف العدوان يدرك أن لسانه الحاد سيلهب جماهير الشعب اليمني ويستنهض عزائم الرجال والقبائل الأبية ؛ لذلك استهدفه أولًا قبل بدء العدوان بجريمة شنعاء لم يحصل مثلها في التاريخ ؛ متجاوزا بذلك كل القيم والأعراف هاتكا كل الحرم والمقدسات .

الشهداء المصلون في مسجد بدر

كانت هذه الجريمة دليلا يكشف خسة مقترفيها ، ويعبر عن مدى إجرامهم ووحشيتهم ، وانسلاخهم من الدين وعمالتهم لأعداء الإسلام، ويسبقى عارها يلاحقهم إلى يوم القيامة .

كانت شهادته شهادةً له، وتكريما لحياته العلمية الجهادية، حيث استشهد في منبره ومحرابه، في يوم جمعةٍ بعد أن حمد الله ونطق الشهادتين، وكانت إصابته في جبهته كجده الإمام علي والإمام زيد عليهما السلام، وضيء الوجه مبتسمًا، وقد شهد الكثير ممن حضر تلك الجمعة الدامية أن وجهه كان يشع نوراً وهو يخطب حتى اندهشوا لذلك .

ويصدق عليه قول الشاعر:

علـوٌّ في الحيـاةِ وفي المـماتِ لحَـقٌ تلـك إحـدى المعـجـزاتِ

وكان نبأ استشهاده فاجعة هزت قلوب الأمة اليمنية، وفقده كان ثلمةً في بنيان الأمة الإسلامية وجسدها داخليا وخارجيا .

رَحَلَ العلامة المرتضى بعد أن اكتمل نوره ، وأدى دوره معلِّماً للناس الخير، فملأ الآفاق علماً وجهاداً،وستبقى ذكراه نبراساً للأجيال، وسيبقى عَلَماً يُقتدى به، ومدرسة يستفاد منها إلى يوم الدين.

- فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا جوار جدك سيد المرسلين.
- السلام عليك يا مجدد مذهب آل الرسول.
- السلام عليك يا محيي العلم والعلماء.
- السلام عليك أيها العالم المجاهد.
- السلام عليك يا شهيد الجمعة والمنبر.
- السلام على العلامة الشهيد الدكتور/ المرتضى بن زيد المحطوري الحسني ورحمة الله وبركاته.

جانب من جنازته

مما قيل في رثائه

ما كتبه فضيلة الشيخ العلامةالدكتور/ حسن بن فرحان المالكي

هنيئًا للدكتور المرتضى بن زيد قضى عمره في إحياء معالم دين محمد وآل محمد ، وأرسى المشتركات ، ونادى بالحقوق ، وواجه النواصب ، والوهابية ، وغلاة الإخوان ، والعملاء ، واجههم وحيدا ، كان ينازعهم زمام الدين وحده ، لم يمكنهم من الغرة ، ولم يسلمهم العرصة ، كان مشروع شهادة من عشرين عاما ، كنا نعلم عن أخباره ويرفع من معنوياتنا ونحن وسط الأجلاف الغبر والنواصب والوهابية ، أحيا أمة بعد موتها ، وأخمل أخرى بعد جبروتها ، سلم المستضعفين الزمام ثم ذهب قبل أن يأخذ نصيبه من الدنيا ، اختار الله له تأجيل كل النعيم فنال الشهادة : في بيت الله ، وفي أفضل أيام الله مرضيًا ربه ، ميسورة ميتته ، نَاجِيًا من معاناة الأمراض المستعصية ، استشهد بعد أدائه الأمانة ، ومجاهدته في الله : مرفوعًا رأسه ، وَضَّاحًا جبينه ، مضروبا على قرنه كجده الإمام علي رضي الله عنه .

يا سيدي صلى الله عليك ، وألحقك بالخالدين في رضاه .

كتبه/ حسن فرحان المالكي – الرياض

رثاه أخوه / أحمد بن زيد المحطوري الحسني

وُلِدَ الْمُرْتَضَى وَعَاشَ فَرِيدَا ... وَشُجَاعًا وَسَيِّدًا وَشَهِيدَا

يَاشَهِيدَ الْمِحْرَابِ بُشْرَاكَ إِنَّا ... قَدْ رَأَيْنَاكَ فِي الْجِنَانِ سَعِيدَا

عَالِمٌ عَامِلٌ صَرِيحٌ صَدُوقٌ ... جَعَلَ الْحَقَّ فِي الْحَيَاةِ رَصِيدَا

لَمْ يَخَفْ لَوْمَ لَائِمٍ حِينَ يَمْضِي ... فِي طَرِيقِ الْهُدَى فَكَانَ وَحِيدَا

مَنْ أَتَى لِلنَّدَى رَآهُ كَرِيمًا ... مَنْ تَعَدَّى عَلَيْهِ كَانَ عَنِيدَا

عَاشَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ سِنِينًا ... شَادَ لِلْعِلْمِ مَرْكِزًا مَقْصُودَا

حِينَ تَأْتِي بَدْرًا تَجِدْ فِيهِ بَدْرًا ... مَذْهَبُ الْآلِ صَارَ فِيهِ أَكِيدَا

قَدْ بَنَاهُ بِلَحْمِهِ ، بِدِمَاهُ ... بِيَدَيْهِ بَنَى الْهُدَى وَالْعَمُودَا

فَاسْأَلُوا كُلَّ غُرْفَةٍ وَجِدَارٍ ... وَكَذَلِكَ الْأَحْجَارَ ثُمَّ الْحَدِيدَا

قَدْ عَرَفْنَاكَ فِي الْحَيَاةِ خَطِيبًا ... وَتُنَادِي الْأَحْرَارَ : لَسْتُمْ عَبِيدَا

مَنْ سِوَى الْمُرْتَضَى لَدَى كُلِّ حَفْلٍ ... يَجْعَلُ الْقَوْلَ لِلْحُضُورِ وَقُودَا

مَنْ سِوَاهُ بِخِفَّةِ الظِّلِّ يَبْقَى ... فِي قُلُوبِ الطُّلَّابِ مَعْنًى جَدِيدَا

نَشَرَ الْعِلْمَ دَائِمًا بِسَخَاءٍ ... وَيُحِبُّ الطُّلَّابَ حُبًّا شَدِيدَا

نَالَ مِسْكَ الْخِتَامِ وَهْوَ خَطِيبٌ ... فَازَ وَاللهِ مَنْ يَكُونُ شَهِيدَا

خُطْبَةُ الْجُمْعَةِ الَّتِي قَامَ فِيهَا ... نَاصِحًا لِلْجَمِيعِ : كُونُوا جُنُودَا

وَالْمُصَلُّونَ وَسْطَ جَامِعِ بَدْرٍ ... يَتَمَنَّوْنَ لَوْ يَقُولُ الْمَزِيدَا

فَجَّرَ الْمُجْرِمُونَ فِيهِمْ حِزَامًا ... نَاسِفًا يَحْمِلُ الْمَنَايَا السُّودَا

خَتَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ بَدْرًا ... صَارَ نَصْرًا لِلْمُرْتَضَى وَخُلُودَا

كَانَ فِي الْمِنْبَرِ الْعَظِيمِ خَطِيبًا ... وَسَيَبْقَى يَوْمَ الشَّهَادَةِ عِيدَا

وَسَيَبْقَى صَوْتُ الْخَطِيبِ مُدَوٍّ ... وَإِلَى الْمُصْطَفَى يَكُونُ الْوُرُودَا

وَشَهِيدُ الْمِحْرَابِ يَأْتِي خَطِيبًا ... يُكْمِلُ الْقَوْلَ شَاكِرًا مَحْمُودَا

شُهَدَاءُ الْإِرْهَابِ يَأْتُوا وُفُودًا ... وَشَهِيدُ الْمِحْرَابِ فِيهِمْ عَمِيدَا

لسنا مستعدين أن نموت مجاناً، حَلِّلوا الموت في جهاد من أجل رفع كلمة لا إله إلا الله، ولكن عندما يفرض على الإنسان أن يدافع عن نفسه وجب عليه أن يدافع عن نفسه..

شهيد المنبر

المرتضى بن زيد المحطوري الحسني